المقرر الرابع: الحديث السابعَ عشر

منزلة التوبة

منزلة التوبة

١٧ . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ t، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

رواه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذيُّ (٢٤٩٩) أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن ماجه (٤٢٥١)أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ. وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد:

قـدَّر الله تعـالى المقاديـر وكتبها في اللـوح المحفـوظ عنـده قبـل أن يَخلـق الخلـق، ومما قـدره تعـالى عـلى البـشر أنهـم غـير معصومـين، وأنـه لا بـد ولا محالـة مـن وقوعهـم في الخطـأ، وهـذه سـنَّة مـن سنن الله في خلقـه، وعلامـة نقـص تُثبت بشريتَهـم وضعفَهـم، والوقـوعُ في الذنـب يعني اسـتحقاق العقوبـة والبطـش مـن الله تعـالى، لكـن الله عـز وجـل جعـل لذلـك مخرجًـا، وفتـح للإنسـان بـاب التوبـة والرجـوع إليـه، وأفضلهـم مـن يُزكـي نفسـه، ويُصلـح عيوبـه، ويُسـارع في التوبـة حتـى يفـوز برضـا ربـه، ودخـول جنتـه، وهـذا مـا سـيتضح لـك مـن خـلال حديـث اليـوم.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخـي الطالـب، يُتوقـع منـك بعـد دراسـة هـذا الحديـث أن تكـون قـادرًا – بعـد عـون الله تعـالى – عـلى أن:

١. تُترجم لراوي الحديث.
٢. تُوضح لغويات الحديث.
٣. تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
٤. تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
٥. تُبرهن من حديث الدرس على علو منزلة التوبة.
٦. تُعدد شروط التوبة.
٧. تُعدد فضائل التوبة.
٨. تستنتج طرق تحصيل مغفرة الله ورضوانه.
٩. تستشعر أهمية التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي.
١٠. تُجدد التوبة مع كل ذنب تقترفه.

٣. موضوعات الحديث:

أخـي الطالـب، تضمَّـن الحديـث الشريـف الـذي ستدرسـه – بعـون الله تعـالى – عددًا مـن الموضوعات المهمـة، ومـن أبرزهـا مـا هـو مُبيَّـن في الخريطـة التاليـة:

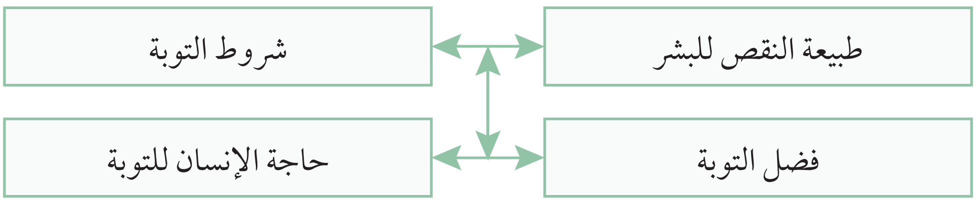

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكَوِّنة لتعلم درس اليوم:

رحلة تعلم الحديث

ترجمة راوي الحديث ← لغويات الحديث ← المعنى الإجمالي ← الشرح التفصيلي ← متوجيهات الحديث

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو حَمْزَة، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ بنِ ضَمْضَمِ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابْنُ عَشْرٍ، وَمَاتَ وهو ابْنُ عِشْرِينَ، وكان يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ فَصَحِبَه أتمَّ الصُّحْبَةِ، وَلازَمَهُ أَكْمَلَ المُلازَمَةِ مُنْذُ هَاجَرَ، وإلى أن مات، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشجرة. روى عن النبيِّ ﷺ عِلْمًا جمًّا، وعن أبي بكر، وعمرَ، وعثمانَ، وغيرهم، وعنه: الحسنُ، وابن سيرين، والشعبيُّ، وغيرهم، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، وكانت نَخَلاته تحمل في السَّنة مرتَين، أخرج حديثَه الأئمةُ الستةُ، «مُسْنَدُه ألفان ومِائتان وسِتَّةٌ وثمانون، اتَّفق له البخاريُّ ومسلم على مِائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاريُّ بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين»(٣١٣)، تُوفِّي سنةَ: (٩٣هـ)(٣١٤).

نشـــــاط (١) اقرأ وحلل ثم أكمل

أخي الطالب، اقرأ ترجمة الراوي، ثم اكتب له بطاقة تعريفية في الجدول التالي:

	لقبه واسمه	
	وقت قدومه للمدينة المنورة	
	ألقابه العلمية	
	علاقته بالنبي صلى الله عليه وسلم	
	عدد مروياته	
	مكان وفاته	

(٣١٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤٢٣).

(٣١٤) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

١. لغويات الحديث:

الجملة	المعنى
خَطَّاء	كثير الخطأ وهو من صِيَغ المبالغة، والخطأ: الذَّنْبُ والإثم، وأخطأ يُخطئ: إذا سَلَك سبيل الخطأ عَمْدًا أو سَهْوًا، ويقال: خَطِئ بمعنى: أخطأ أيضًا، وقيل: خَطِئ إذا تعمَّد، وأخطأ إذا لم يتعمَّد، ويُقال لمن أراد شيئًا ففعل غيره، أو فعل غير الصواب: أخطأ.
التَّوَّابُونَ	تاب: عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه؛ أي: عاد عليه بالمغفرة، وتوَّاب صيغة مبالغة.

٢. المعنى الإجماليُّ للحديث:

يروي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ»؛ أَيْ: كلُّ البَشَر كَثِيرُو الْخَطَأ. «وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»؛ أي: وخيرُهم من يُسارع في التوبة، فكما هو كثير الخطأ، فهو كثير التوبة.

٣. الشرح المفصَّل للحديث:

خلق الله تعالى الخَلْقَ لغايات عظيمة، وحِكَم جليلة، من أجلِّها عبادةُ الله عزَّ وجلَّ وتوحيده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فالإنسان مأمور بمعرفة الله، وتوحيده، وعبادته، وأودَع الله في كل إنسان خَلَقَه القُدرة على فعل الخير والشرِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: دَلَلْناه على طريق الخير وطريق الشرِّ، وتَرَكْنا له حرية الاختيار بينهما، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧-٨]؛ أي: بيَّن لها الخير والشرَّ، وهداها لما قُدِّر لها، ثم أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب؛ حتى يستقيم الإنسان على عبادته، فيَحُوز خيرَيِ الدنيا والآخرة، فمن اتَّبع الرُّسُل، واستقام على نهجهم، أفلح ونجا؛ قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ [طه: ١٢٣]، إلا أن الإنسان وهو سائر في طريقه إلى الله، معرَّض للوقوع في الذنوب والمعاصي والأخطاء؛ إذ النقصُ من جملة صفاته؛ قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الله قد فتح لعباده باب التوبة من الذنوب والمعاصي، فما كان الله ليَخْلُق عباده بهذه الصفات إلا لحكمة بليغة هو يعلمها، وهي: أن يَعبُد المسلم ربَّه بالتوبة والإنابة والرجوع إليه؛ ففي حديث أنسٍ ﷺ يقرِّر النبيُّ ﷺ سنَّةً من سنن الله في خلقه، وهي أن كلَّ بني آدم يَقَع في الذنوب والمعاصي، فإذا ما وقعوا فيها، فباب التوبة مفتوح، فليبادروا بها.

يقـول ﷺ: «كُلُّ ابْـنِ آدَمَ خَطَّـاءٌ»؛ أي: كثيرو الخطأ، وخطَّاء مـن صِيَـغ المبالغـة، والمـراد بالخطـأ: المعصيـةُ عَمْـدًا ومطلَقًـا، ويَدخُـل فيهـا الصغائـر والكبائـر، والأنبيـاءُ معصومـون مـن الوقـوع في الكبائـر، وقـد يَقَـع مـن بعضهـم بعـضُ الصغائـر عـلى الراجـح مـن أقـوال أهـل العلـم؛ إلا أنهـم سُرعـانَ مـا يتوبـون إلى الله ويستغفرونه، ودليـل ذلك قولـه تعـالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، و«القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبـو الحسـن الآمِـديُّ أن هـذا قـول أكثر الأشـعرية، وهـو أيضًـا قـولُ أكثر أهـل التفسـير والحديـث والفقهـاء؛ بـل هـو لم يَنقُـل عـن السَّـلف والأئمَّـة والصحابـة والتابعـين وتابعيهـم إلا مـا يوافـق هـذا القـول»[٣١٥].

نشـــــاط (٢) قارن وتأمل ثم استنتج

روى أبـو هريـرة رضي الله عنه عـن النبـي ﷺ أنـه قـال: «إِنَّ اللهَ كَتَـبَ عَـلَى ابْـنِ آدَمَ حَظَّـهُ مِـنَ الزِّنَـا، أَدْرَكَ ذَلِـكَ لَا مَحَالَـةَ، فَزِنَـا العَـيْنِ النَّظَـرُ، وَزِنَـا اللِّسَـانِ المَنْطِـقُ، وَالنَّفْـسُ تَمَنَّـى وَتَشْـتَهِي، وَالفَـرْجُ يُصَـدِّقُ ذَلِـكَ كُلَّـهُ وَيُكَذِّبُـهُ»[٣١٦].

بمقارنة حديث أنس رضي الله عنه وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أجب عما يلي:

أولًا: اتفق الحديثان على إثبات حقيقتين يؤيد كل منهما الآخر. (اشرح ذلك).

....

....

....

....

....

....

ثانيًا: الحديثان يوجهان المسلم إلى ما يجب عليه تجاه الذنب وبيان ذلك:

....

....

(٣١٥) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٣١٩).

(٣١٦) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

....

....

....

....

....

....

ثالثًا: طبِّق الأمر القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴿٢١﴾﴾ النور: ٢١) على حديث أنس مُبينًا أثر مجاهدة النفس في اجتناب الذنب والوقوع في الخطأ:

....

....

....

....

....

....

وإذا كان الإنسان بطبعه كثيرَ المعاصي، فإن ذلك ليس مبرِّرًا له على الإطلاق في الاسترسال في الذنوب والمعاصي، فهو مأمورٌ بتصحيح ذنبه؛ ولذلك جاءت الجملة الثانية من الحديث تُرشده إلى طريق الخلاص والتوبة من المعاصي، فقال ﷺ: «وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»؛ أي: والخيرية والأفضلية إنما تكون للرَّجَّاعين والتائبين والمستغفرين، إلى الله بالتوبة من المعصية إلى الطاعة، فكلَّما أذنب أحدهم، أَحدَث توبةً إلى الله تعالى، وبادَرَ إلى طلب المغفرة من الله تعالى، فهذه صفة من صفات المتَّقين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]، «فأثنى على المستغفِرين، وفي ضِمْنِ ثنائه بالاستغفار لَوَّح بالأمر به، كما قيل: إن كلَّ شيء أَثنى اللهُ على فاعله، فهو آمِرٌ به، وكلَّ شيء ذَمَّ فاعلَه، فهو ناهٍ عنه»[٣١٧].

(٣١٧) «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٢٠).

نشـــــاط (٣) قارن وتأمل ثم استنتج

عَـنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَـنِ اللهِ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى أَنَّـهُ قَـالَ: «يَـا عِبَـادِي، إِنَّكُـمْ تُخْطِئُـونَ بِاللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ، وَأَنَـا أَغْفِـرُ الذُّنُـوبَ جَمِيعًـا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِـرْ لَكُـمْ»(٣١٨).

أولًا: في حديث أبي ذر ﷺ أمر إلهي يحقق الخيرية المذكورة في حديث الدرس، وضح ذلك.

....

....

ثانيًا: في هـذا الحديـث فعـلان متقابـلان وهـذا التقابـل يشـجع عـلى تحقيـق الخيريـة المذكـورة في حديـث الـدرس

وبيان ذلك:..

....

....

....

....

....

وعلى المسلم إذا ما أذنب أن يُسارع إلى التوبة، ولا يَيْئَس من رحمة الله -عزَّ وجلَّ- فاليأس من رحمة الله صفة من صفات الكافرين وأهل الضلال؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر: ٥٦]، فـ«اليأس من رحمة الله فيه تكذيب القرآن؛ إذ يقول وقوله الحقُّ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦]»(٣١٩).

ومهما كانت الذنوب، فإن الله يغفرها جميعًا، ويتوب على أصحابها إذا تابوا؛ فعَـنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَـنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَـالَ: «أَذْنَـبَ عَبْـدٌ ذَنْبًـا، فَقَـالَ: اللهُـمَّ اغْفِـرْ لِي ذَنْبِي، فَقَـالَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: أَذْنَـبَ عَبْـدِي ذَنْبًـا، فَعَلِـمَ أَنَّ لَـهُ رَبًّـا يَغْفِـرُ الذَّنْـبَ، وَيَأْخُـذُ بِالذَّنْـبِ، ثُـمَّ عَـادَ فَأَذْنَـبَ، فَقَـالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِـرْ لِي ذَنْبِـي، فَقَـالَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: عَبْـدِي أَذْنَـبَ ذَنْبًـا، فَعَلِـمَ أَنَّ لَـهُ رَبًّـا يَغْفِـرُ الذَّنْـبَ، وَيَأْخُـذُ بِالذَّنْـبِ، ثُـمَّ عَـادَ فَأَذْنَـبَ فَقَـالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِـرْ لِي ذَنْبِـي، فَقَـالَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: أَذْنَـبَ

---

(٣١٨) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣١٩) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبيِّ (٥/ ١٦٠).

عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[٣٢٠]، وفي الحديث دلالة على أن العبد الصالح كلَّما قارَف ذنبًا، عاد مسرعًا تائبًا من ذنبه، منيبًا إلى ربِّه، لا أنه مُصِرٌّ على الذنوب، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء: ١٧]، فإذا تاب المذنبون، وأنابوا إلى ربهم، قَبِل توبتهم، وفتح لهم أبواب رحمته؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].

نشـــــاط (٤) اقرأ وحلل ثم صف حال الإنسان

قال ابن القيم -رحمه الله-: «من أراد الله به خيرًا فتح له باب الذُّلِّ والانكسار، ودَوام اللجوء إلى الله تعالى، والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه، وجهلها، وعُدْوانها، ومشاهدة فضل ربِّه، وإحسانه، ورحمته، وجُوده، وبِرِّه، وغناه، وحمده»[٣٢١]. من خلال تحليل القول السابق صف حال الإنسان الذي أراد الله به خيرًا بعد ارتكابه المعصية.

....

....

....

....

وبالإصرار على الذنوب وإن كانت صغيرةً، فإنها تتحوَّل إلى كبائرَ، «اعلم أن الصغيرة تكبُرُ بأسباب، منها: الإصرارُ، والمواظبة؛ ولذلك قيل: لا صغيرةَ مع إصرار، ولا كبيرةَ مع استغفار، فكبيرةٌ واحدة تَنصرِم ولا يَتبعها مثلُها، لو تُصُوِّر ذلك، كان العفوُ عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك: قَطَرات من الماء تقع على الحَجَر على تَوالٍ فتؤثِّر فيه، وذلك القدرُ من الماء لو صُبَّ عليه دَفْعةً واحدة لم يؤثِّر»[٣٢٢].

لذا؛ حذَّرنا النبيُّ ﷺ من المداوَمة على فعل الصغائر؛ لأن فيها هلاكًا للعبد؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»[٣٢٣]، وحذَّر المُصِرِّين على الصغائر بالوَيْلِ والعذاب الشديد؛

(٣٢٠) رواه البخاريُّ (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٣٢١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص: ٧).

(٣٢٢) «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالِّي (٤/ ٣٢).

(٣٢٣) رواه أحمدُ (٢٢٨٠٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاص رضي الله عنهما، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»(٣٢٤).

وباب التوبة مفتوح لا يُغلقه الله في وجه عباده ما لم تَبلُغ الرُّوح الحُلْقوم؛ فعَن ابْنِ عُمَر رَضِي الله عنهما، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»(٣٢٥)، فالله عزَّ وجلَّ يقبل توبة عبده ما لم يحضُره الموت، أو تَطلُع الشمس من مغربها؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ۝١٨﴾ [النساء: ١٨].

ويَفرَح الله بتوبة عبده، أكثرَ من فرح رجل وجد طعامه وشرابه في الصحراء بعد ما فَقَدهما، وأشرَف على الهلاك؛ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»(٣٢٦).

والتوبةُ سببٌ كافٍ لنَيل محبَّة الله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثرَ من سبعين مرَّةً؛ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهَّ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَّ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٣٢٧).

شروط التوبة:

وللتوبة شروطٌ حتى تُقبَل، هي: إخلاص النية لله تعالى، والإقلاع عن المعصية، والندم على ارتكابها، والعَزْمُ على عدم العودة إلى المعصية، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، إذا كان الذنب متعلِّقًا بحقٍّ من حقوق العباد، وأن تكون في الوقت المخصَّص لقبولها؛ أي: قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل لحظة الموت.

---

(٣٢٤) رواه أحمدُ (٦٥٤١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (ص: ١٥١).

(٣٢٥) رواه أحمد (٦١٦٠)، والترمذيُّ (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٣).

(٣٢٦) رواه البخاريُّ (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٣٢٧) رواه البخاريُّ (٦٣٠٧).

نشـــــاط (٥) حلل وتأمل ثم استنتج

لقد تقرر أن الكل سيخطأ، ولكن فيهم خيِّرون، ولن يكون المسلم من الخيِّرين حتى يتوب، لكن ليس كل تائب مقبولة توبته حتى يأتي بشروطها، تأمل الآيات التالية مُستنتجًا منها عوامل قبول التوبة. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ الفرقان: ٧٠. ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ الفرقان: ٧١.

....

....

فضائل التوبة:

أولًا: التوبة سببٌ لنَيل محبَّة الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ثانيًا: التوبة سبب لنور القلب ومحو أثر الذنب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]»[٣٢٨].

ثالثًا: التوبة لتكفير السيِّئات، وغفران الذنوب؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

---

(٣٢٨) رواه الترمذيُّ (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وقال الترمذيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

رابعًا: التوبة سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٦٠].

خامسًا: التوبة سبب لنزول الغيث، وزيادة القوَّة؛ قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

سادسًا: التوبة سبب للتوفيق والفلاح؛ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

نشـــاط (٦) اقرأ وتأمل ثم استخرج

الاستغفار يكون على وجهين؛ الأول: طلب المغفرة باللفظ بأن يقول: اللهم اغفر لي، أو أستغفر الله. والثاني: طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سببًا لذلك.

تأمل النصوص التالية مُستخرجًا العمل الصالح الذي يكون سببًا لتحصيل المغفرة.

النص	العمل الموجب للمغفرة
قوله ﷺ: «الصلَواتُ الخَمسُ، وَالجُمُعَة إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكفِّراتٌ لِمَا بَينهُنَّ مَا اجتَنَبَ الكَبَائِرَ».	
قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ في اليوم مائةَ مرةٍ، غُفِرَت خطَايَاه وَإِنْ كَانَت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ».	
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ آل عمران:٣١).	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ الأنفال:٢٩).	
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ النور:٢٢).	
﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ التغابن:١٧).	

٤. من توجيهات الحديث:

- في الحديث يقرِّر النبيُّ ﷺ سنَّة من سنن الله في خلقه، وهي أن كلَّ بني آدمَ يَقعون في الذنوب والمعاصي، فإذا ما وقعوا فيها، فباب التوبة مفتوح، فليبادروا بها.
- أودَعَ الله في كل إنسان القُدرة على فعل الخير والشرِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: دَلَلْناه على طريق الخير وطريق الشرِّ، وتَركْنا له حرية الاختيار بينهما.
- إن الإنسان وهو سائر في طريقه إلى الله، معرَّض للوقوع في الذنوب والمعاصي والأخطاء؛ إذ النقصُ من جملة صفاته؛ قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء: ٢٨].
- في الحديث توجيه وإرشاد إلى أنه إذا كان الإنسان بطبعه كثيرَ المعاصي، فإن ذلك ليس مبرِّرًا له في الاسترسال في الذنوب والمعاصي، فهو مأمورٌ بتصحيح ذنبه؛ فطريق الخلاص بالتوبة من المعصية إلى الطاعة.
- إن أُريد بلفظ الكلِّ الكلُّ من حيث هو كلٌّ، كان تغليبًا؛ لأن فيهم الأنبياءَ، وليسوا مبالِغين في الخطأ؛ ففيه تعميم جميع بني آدم، حتى الأنبياء؛ لكنهم خُصُّوا منه لكونهم معصومين(٣٢٩).
- على المسلم إذا ما أذْنَب أن يُسارع إلى التوبة، ولا يَيْئَس من رحمة الله عزَّ وجلَّ، فاليأس من رحمة الله صفة من صفات الكافرين وأهل الضلال؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].
- إذا تاب المذنبون، وأنابوا إلى ربهم، قَبِل توبتهم، وفتح لهم أبواب رحمته؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٢٥﴾ [الشورى: ٢٥].
- باب التوبة مفتوح لا يُغلِقه الله تعالى في وجوه عباده ما لم تَبلُغ الرُّوح الحُلْقوم والله يَفرَح بتوبة عبده، أكثرَ من فرح رجل وجد طعامه وشرابه في الصحراء بعدما فَقَدهما، وأشرَف على الهلاك.
- للتوبة شروطٌ لا بدَّ منها حتى تُقبَل، هي: إخلاص النية لله تعالى، والإقلاع عن المعصية، والندم على ارتكابها، والعَزْمُ على عدم العودة إلى المعصية، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، إذا كان الذنب متعلِّقًا بحقٍّ من حقوق العباد، وأن تكون في الوقت المخصَّص لقبولها؛ أي: قبل طلوع الشمس من مغربها، وقبل لحظة الموت.
- من فضائل التوبة: أنها سببٌ لدخول الجنة، والنجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠﴾ [مريم: ٦٠].

---

(٣٢٩) «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٦/ ١٨٤٧).

- الذنوب على ثلاثة أقسام: قسم لا بدَّ فيه من توبة بالإجماع، وهو الكفر، والثاني: ما تكفِّره الأعمال الصالحة، وهو الصغائر، والثالث: ما لا بدَّ له من توبة، على خلاف في ذلك؛ لكن الجمهور يقولون: إن الكبائر لا بدَّ لها من توبة(٣٣٠).
- أفضل الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يُثنِّي بالاعتراف بالنِّعَم، ثم يُقرُّ لربِّه بذنبه وتقصيره، ثم يسأل بعد ذلك ربَّه المغفرة.
- الأنبياءُ معصومون من الوقوع في الكبائر، وقد يَقَع من بعضهم بعضُ الصغائر على الراجح من أقوال أهل العلم؛ إلا أنهم سُرعانَ ما يتوبون إلى الله ويستغفرونه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].
- قال عبد الله بن مسعودٍ: «إن المؤمنَ يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبه كذُبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا»(٣٣١).
- رُبّ طاعة أورثت عِزًّا واستكبارًا، ورُبّ معصية أورثت ذلًّا واستغفارًا.

من بديع الشعر

خلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها فهُوَ التُّقى
كن مثلَ ماشٍ فوق أرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يرى
لا تحقِرَنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبالَ مِن الحصى

***

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقد عَلِمْتُ بأَنَّ عفوَكَ أَعْظَمُ
إنْ كَانَ لاَ يَرْجُوكَ إلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَن الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرِمُ؟!
أَدْعُوكَ رَبِّ كما أمرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ؟!
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

---

(٣٣٠) «شرح الأربعين النووية» للعثيمين (ص: ٢٤٩).

(٣٣١) رواه البخاريُّ (٦٣٠٨).

ثالثًا: التقويم

س١: ضع دائرة حول الخيار الصحيح فيما يلي:

١ – قوله في الحديث: «كل بني آدم خطَّاء»يستفاد منه أنه:

- يجب على الإنسان أن يقع في المعصية ثم يتوب منها.
- إمكان وقوع المعصية من الإنسان. .
- عدم وقوع المعصية من غير الإنسان.

٢ – قوله في الحديث: «وخير الخطّائين التّوّابون» يستنتج منه أن:

- التوابين أفضل الخطائين. .
- الخطائين أقل من التوابين.
- التوابين متاسوون مع الخطائين.

٣– لفظ « خطَّاء » صيغة:

- مبالغة: تدل على كثرة الخطأ. .
- ذم: تزجر المسلم عن الوقوع في الخطأ.
- مدح: تثبت أن كل شيء بقدر الله تعالى.

٤ – لفظ «كل» في الحديث لفظ به عموم يثبت نفاذ قدر الله تعالى بمعصية:

- جميع المخلوقات.
- البشر والملائكة.
- ذرية آدم عليه السلام. .

س٢: أجب عما يلي وفق ما تمليه عليك الأقواس.

التوبة لها شروط (وضحها).

....

....

....

التوبة لها فضائل عظيمة على كل تائب (اكتب منها ثلاثة).

....

....

....

في الحديث ما يدل على علو منزلة التوبة (وضح).

....

....

طرق تحصيل مغفرة الله تعالى ورضوانه متُعددة (اذكر منها ثلاثة).

....

....

....

المذنب بمنزلة من رَكِب طريقًا تؤدِّيه إلى هلاكه، ولا توصِّله إلى المقصود، فهو مأمور أن يولِّيها ظَهرَه، ويرجع إلى الطَّريق الّتي فيها نجاته، والّتي توصله إلى مقصوده، وفيها فَلاحُه(٣٣٢). (اربط العبارة السابقة بالحديث).

....

....

....

س٣: وضح العلاقة بين التوبة وبين قوله تعالى: (إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾) التغابن:١٧).

....

....

....

س٤: اكتب أربعة من إرشادات الحديث، المتعلقة بالإيمان والعمل الصالح.

....

....

....

(٣٣٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣١٥).